٦٧- امرأة تتحدث بالقرآن

السؤال - سمعنا أن بعض الصالحين القدامى تحدث مع امرأة فكانت تجيبه بالقرآن، فهل هذا صحيح، وهل الاقتباس من القرآن جائز فى كل الأحوال؟

الجواب - تحكى كتب الأدب أن عبد الله بن المبارك خرج حاجاً وصادفته امرأة دار بينهما حديث كانت إجاباتها كلها من القرآن الكريم، وجاء فى كتاب (الحسين وبطلة كربلاء) لمحمد عبد الجواد مغنية (ص١٧١) نقلاً عن صاحب (البحار ج١٠ ص٢٦) أن المرأة أسمها (فضة) وأصلها من الهند، وكانت تتردد على السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها لتساعدها فى عمل المنزل، فصلح حالها وعاشت بعدها عشرين سنة لا تتكلم إلا بالقرآن.

لكن هذه المرأة (فضة) توفيت على هذا حوالى السنة الثلاثين، وابن المبارك توفى سنة ١٨١هـ. فصاحبته التى حدثته بالقرآن غير هذه التى خدمت السيدة فاطمة، ولا يهمنا ذلك.

والحديث الذى جرى بينهما ذكره الأبشيهى فى كتابه (المستطرف ج١ ص٤٨) ونصه: قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، فبينما أنا فى بعض الطريق إذا أنا بسواد على الطريق، فتميزت ذاك فإذا هى عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف، فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقالت (سلام قولاً من رب رحيم) فقلت: يرحمك الله ما تصنعين فى هذا المكان؟ قالت (ومن يضلل الله فلا هادى له) فعلمت أنها ضالة عن الطريق. فقلت لها: أين تريدين؟ قالت (سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) فعلمت أنها قد قضت حجها وهى تريد بيت المقدس، فقلت لها: أنت مُنْذُ كَمْ فى هذا الموضع؟ قالت (ثلاث ليال سويا) فقلت: ما أرى معك طعاماً تأكلين، قالت (هو

يطعمني ويسقين)، فقلت: فبأى شئ تتوضئين؟ قالت (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيبا) فقلت لها: إن معى طعاماً فهل لك فى الأكل؟ قالت (ثم أتموا الصيام إلى الليل) فقلت: ليس هذا شهر رمضان، قالت (ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم) فقلت: قد أبيح لنا الإفطار فى السفر، قالت (وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون) فقلت: لم لا تكلمينى مثل ما أكلمك؟ قالت (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) فقلت: فمن أى الناس أنت؟ قالت (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) فقلت: قد أخطأت فاجعلينى فى حل، قالت (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) فقلت: فهل لك أن أحملك على ناقتى هذه فتدركى القافلة؟ قالت (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) قال: فأنخت ناقتى، قالت (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) فغضضت بصرى عنها وقلت لها: اركبى، فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها، فقالت (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) فقلت لها: اصبرى حتى أعقلها فقالت: (ففهَّمناها سليمان) فعقلت الناقة وقلت لها: اركبى، فلما ركبت قالت (سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين. وإنا إلى ربنا لمنقلبون) قال: فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح، فقالت (واقصد فى مشيك واغضض من صوتك) فجعلت أمشى رويداً رويدا وأترنم بالشعر، فقالت (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) فقلت لها لقد أوتيت خيراً كثيرا، قالت (وما يذكر إلا أولو الألباب) فلما مشيت بها قليلاً قلت: ألك زوج؟ قالت (يا أيها الذين أمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة، فقلت لها: هذه القافلة فمن لك فيها؟ فقالت (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) فعلمت أن لها أولاداً، فقلت: وما شأنهم فى الحج؟ قالت (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) فعلمت أنهم أدلاَّء الركب، فقصدت بها القباب والعمارات فقلت: هذه القباب فمن لك فيها؟ قالت (واتخذ الله إبراهيم خليلا) (وكلم الله موسى تكليما) (يا يحي خذ الكتاب بقوة) فناديت يا إبراهيم يا موسى يا يحيى، فإذا أنا بشباب كأنهم

الأقمار وقد أقبلوا، فلما استقر بهم الجلوس قالت (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه) فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه بين يدى فقالت (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية) فقلت : الآن طعامكم علَّى حرام حتى تخبرونى بأمرها، فقالوا : هذه أمنا، لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن، فسبحان القادر على ما يشاء، فقلت (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) .

هذه رواية كتب الأدب، ونحن فى حلٍّ من تصديقها أو تكذيبها، حيث لا يوجد سند صحيح يعتمد عليه فى ذلك، والعبرة المأخوذة هى ذكاء المرأة وحفظها للقرآن وسرعة استحضار الآيات التى تناسب الحديث . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ونرجو أن تكون قدوة لنا نحن المسلمين رجالاً ونساء فى حفظ القرآن والعمل، والمحافظة على اللغة العربية لغة القرآن الكريم .

هذا، والاقتباس من القرآن لأغراض شريفة وعلى مستوى يتناسب مع شرف القرآن لا بأس به، حيث لا يوجد دليل بمنعه، وفيه ربط للإنسان بكلام الله كلما سمع بعض الآيات أو رآها مكتوبة على شئ طاهر نظيف محترم .

جاء فى شرح الزرقانى للمواهب الدينية (ج١ ص٢٥) أن قول (حسبنا الله ونعم الوكيل) (وعلى الله قصد السبيل) هو اقتباس من القرآن الكريم– الأول فى الآية رقم ١٧٣ من سورة آل عمران، والثانى فى الآية رقم ٩ من سورة النحل– وذكر أن الاقتباس جائز عند المالكية والشافعية باتفاق، غير أنهم كرهوه فى الشعر خاصة . ونص على جوازه من المالكية القاضى عياض، ومن الشافعية النووى، والأحاديث الصحيحة والآثار عن الصحابة والتابعين تشهد بالجواز .

* * *

٦٨- العدل بين الزوجات

السؤال - شاء الله أن يتزوج زوجي بأخرى، ولحاجتي إلى العيش معه لم أطلب الطلاق، لكنه يؤثر الزوجة الجديدة كثيراً، بل تغيرت معاملته معي تماماً، فما رأى الدين في ذلك؟

الجواب - يقول الله تعالى ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾[النساء:٣] ويقول ﴿**وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ**﴾ [النساء:١٢٩] ويقول ﷺ «من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل»(١)

تبين هذه النصوص حق الرجل في تزوج أكثر من امرأة إلى أربع، بشرط عدم الخوف من عدم العدل بينهن، فإن خاف اقتصر على واحدة، كما تبين أن العدل بين النساء عدلاً كاملاً غير مستطاع فيتجاوز في القليل من الميل، ...ولا يتجاوز عن الميل الواضح الكبير، وحذر الحديث من عدم العدل، لأنه سيحشر بصورة يعرف بها أنه كان مائلاً. والعدل المطلوب هو فيما يستطاع، وحدده العلماء بالنفقة والمبيت،حتى لو كان المبيت بغير اتصال جنسي، فذلك أمر تتحكم فيه ظروف قد تكون قاهرة، أما الحب القلبي فلا يجب العدل فيه، وهو ما جاء في الحديث الذي رواه أصحاب السنن «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك». وذلك أنه كان يحب عائشة أكثر من غيرها، لكنه لا يظلم الأخريات في النفقة والمبيت.

وقد حافظ النبي ﷺ على هذا العدل حتى في أيام مرضه الذي توفي فيه،

---

(١) رواه أصحاب السنن.

وأخرج البخارى ومسلم أنه كان يلاقى ألماً فى جولاته على نسائه، وكان يسأل عن صاحبة الليلة المقبلة، اشتياقاً لنوبة عائشة، فعرفت زوجاته ذلك، فأذنّ له أن يمرَّض فى بيت عائشة.

وكان إذا اجتمع معهن فى بيت صاحبة النوبة لا يولى أهتماماً بغيرها أو يعمل شيئاً يدخل الغيرة عليها، فليكن فى هذا عبرة للذين لا يعدلون مع زوجاتهم، فذلك ظلم، والظلم مرتعه وخيم، وله أثره السيئ على الأولاد، وعلى الأسرة بوجه عام.

وقد أثبت قانون الأحوال الشخصية المصرى حقاً للضرة فى طلب الطلاق إذا حدث لها ضرر تصعب معه الحياة، وعليها أن تثبت ذلك بطريق مشروع.

* * *

obeikandl.com

٦٩- حقوق الزوج على الزوجة

السؤال - ما هى الحقوق الواجبة للزوج على زوجته، وعلى أى أساس تكون؟

الجواب - يقول الله تعالى ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** ﴾[البقرة :٢٢٨] فكما أن للرجل حقوقا على المرأة كذلك لها عليه حقوق، وهى كلها فى إطار المعروف أى الذى يقره العرف ولا يخالف الشرع، والبيئات والعصور مختلفة فى تحديد هذه الحقوق. إن حق الزوج على زوجته هام وخطير يفوق حق والديها عليها، مع أن حق الوالدين فى المرتبة التالية لعبادة الله وحده. روى البزار بإسناد حسن والحاكم وصححه أن عائشة رضى الله عنها سألت النبى ﷺ: أى الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال « زوجها » قلت: فأى الناس أعظم حقاً على الرجل؟ قال « أمه ».

ولخطورة حقه عليها لا تقبل طاعتها حتى تطيعه وتوفيه حقه، ففى الحديث الذى رواه ابن ماجه وابن حبان عن معاذ الذى أراد أن يسجد للنبى ﷺ كما يسجد أهل الشام لبطارقتهم، قال له « لا تفعل، فإنى لو أمرت شيئاً أن يسجد لشئ لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها، والذى نفسى بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها، ولو سألها نفسها وهى على قَتَب- رحل البعير- لم تمنعه ». روى أحمد والنسائى بإسنادين جيدين أنه ﷺ قال لامرأة « أين أنت من زوجك »؟ قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه فقال « فكيف أنت له فإنه جنتك ونارك » ولخطورة حق الزوج على زوجته سأضع بين يديها بعض القواعد الأساسية فى معاملتها له:

١- المسئولية المنزلية : يقع جزء كبير منها على عاتق المرأة،بل قد تفوق مسئوليتها فى بعض الأحيان مسئولية الرجل، لأنها بالبيت ألصق، وهى مشرفة إن لم تكن مباشرة، وسيوازن الناس حتماً بين بيت منظم هادئ وبين غيره، وأول ما

يتبادر إلى الذهن فى سبب ذلك هو المرأة، فينسب إليها إن حقاً وإن باطلاً، ولذلك كان من حقها أن تسأل أولا عن الخطة التى يحب الزوج أن تسير عليها، كما طلبت زوجة شريح منه فى ليلة الزفاف.

٢- الرجل بحكم تكوينه له القوامة على المرأة، فلتعامله الزوجة على ضوء هذه الحقيقة، ولا تحاول أن تسلبه هذا الحق أو تمسه بسوء، والحديث الشريف يأمر بالسمع والطاعة لمن ولّى علينا وإن كان عبداً.

٣- أن الزوجة جعلت للزوج وحده لا يشركه فيها أحد، وذلك لضمان الاستقرار، وعدم تشتت ذهن الزوجة فى أى الجهات تطيع، وبأيها تأتمر، وقد تقدم أن حق الزوج مقدم على حق الأبويين.

٤- من السهل على الزوج إذا لم يلائمه الجو الذى يعيش فيه أن يغيره فى أى وقت شاء، لأنه يملك حق الطلاق وتعدد الزوجات، وليس ذلك ميسوراً للمرأة، فلتعمل الزوجة على الاحتفاظ بالحياة الزوجية. وتشكر الزوج على حسن عشرته ولا تجحد معروفه، ففى يدها مفتاح سعادتها.

٥- خلق الرجل بطبيعته للكفاح والعمل، وهو يعود إلى البيت بما يحمل من متاعب وآلام، فلتكن الزوجة سكناً له، يخفف آلامه، ولتتحمل ما عساه يصدر عنه فى حال انفعاله، فذلك متنفس لما يكبته فى نفسه من آلام.

٦- أن الغرض الظاهر للرجل من زواجه هو المتعة فلا تحرمه منها، ولتتحمل فى سبيل ذلك مايكون من مضايقات، وعليها مع ذلك أن تكون وفية له قاصرة نظرها عليه.

إن الحقوق التى تتفرع عن هذه القواعد كثيرة، وسأضع مقدماً نتائج خبرة دقيقة لامرأة عربية ففيها خير كثير، وهى مأخوذة من عدة مصادر من كتب الأدب العربى:

خطب عمرو بن حجر أم إياس بنت عوف بن محلّم الشيبانى، فأوصتها أمها أمامة بنت الحارث ليلة بنائه بها فقالت:

أى بنية، إن الوصية لو تركت لعقل أو أدب أو مكرمة وحسب لتركت لك، ولكن الوصية تذكرة للعاقل، ومَنْبَهَةٌ للغافل، يا بنية، إنه لو استغنت المرأة عن الزواج لِغِنَى أبويها وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عن الزواج، ولكن الرجال خلقوا للنساء، كما هن خلقن للرجال.

أى بنَية، إنك فارقت بيتك الذى منه خرجت، وعشك الذى فيه درجت، إلى بيت لم تعرفيه: وقرين لم تألفيه، فكونى له أمَةً يكن لك عبدا، واحفظى له خصالاً عشرا يكنَّ لك ذخرا، أما الأولى والثانية فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع والطاعة، وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لموضع عينيه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشمَّن منك إلا أطيب ريح، وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت منامه وطعامه، فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة، وأما السابعة والثامنة فالاحتراس بماله، والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر فى المال حسن التقدير، وفى العيال حسن التدبير، وأما التاسعة والعاشرة فلا تَعْصن له أمرا، ولا تُفْشِنَّ له سرا، فإنك إن خالفت أمره أو غرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتما، والكآبة بين يديه إن كان فرحا، واعلمى أنك لن تبلغى رضاه حتى تؤثرى هواه على هواك.

وذكر الغزالى فى الإحياء (١) قريباً من هذه الوصية عن أسماء بنت خارجة الفزارى وهو ينصح ابنته.

* * *

(١) ج٢ ص٥٤

٧٠- مدى طاعة الزوجة لزوجها

السؤال - ما هى الحدود التى يجب على الزوجة أن تطيع فيها زوجها؟

الجواب - يقول الله تعالى ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾[الروم: ٢١] ويقول ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ** ﴾[النساء: ٣٤] تدل هاتان الآيتان على أن الله خلق المرأة بعد الرجل، وذلك لمصلحته من السكن والراحة والتعاون على تحقيق الخلافة فى الأرض، وأن مسئولية الأسرة تقع أولاً وبالذات على عاتقه،لما فيه من مؤهلات طبيعية ومكتسبة.

والمرأة الصالحة هى التى تساعد على ذلك، باتباع أمر الله، وبطاعة زوجها وحفظها لكل ما يجب الحفاظ عليه مما يمس كرامة الأسرة. وقد أكد النبى ﷺ هذه الطاعة فجعلها تعدل فى أهميتها الصلاة والجهاد، كما جاء فى حديث أسماء بنت يزيد بن السكن وافدة النساء، وقال فى الحديث الذى رواه ابن ماجه «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة،إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله» وفى الحديث الذى رواه ابن ماجه أيضاً والترمذى وحسنه «أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة».

ولكن إلى أى حد تكون الطاعة؟ أولاً- لا بد أن تكون الطاعة فى غير معصية، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وثانياً- لا بد أن تكون الطاعة فيما تزوجها من أجله، وهو المتعة الجنسية، وقد حذر النبى ﷺ من عصيانها فى ذلك، فقال فيما رواه البخارى ومسلم «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح» وأكد فى أحاديث أخرى هذه

الطاعة حتى لو كانت مشغولة بأمر هام. وحرّم عليها أن تصوم تطوعاً وهو حاضر إلا بإذنه كما فى حديث البخارى ومسلم، اللهم إلا إذا كان هناك عذر مقبول، كمرض ونحوه، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

ومن الطاعة الواجبة عليها لزوجها لزوم البيت وعدم خروجها إلا بإذنه، حيث إنه هو المتكفل بكل ما تحتاج إليه الأسرة، فلو خرجت بغير إذنه عدّت ناشزا، والنشوز له إجراء ذكره القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿**وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً**﴾[النساء:٣٤].

هذان الأمران: المتعة ولزوم البيت، هما الحد الأدنى فى طاعة الزوجة لزوجها، وما سوى ذلك فهو من المندوب المستحب، الذى لو قصرت فيه لا تستحق عقوبة دنيوية أو أخروية، ولو قامت به أسعدت الأسرة وارتفعت مكانتها عند الله.

يقول الإمام النووى فى التعليق على غسل السيدة عائشة رضى الله عنها لرأس النبى ﷺ،وعند التعليق على خدمة أسماء بنت أبى بكر لزوجها الزبير بن العوام- يقول: هذا كله من المعروف والمروءات التى أطبق الناس عليها، وهو أن المرأة تخدم زوجها بهذه الأمور المذكورة ونحوها من الخبز والطبخ وغسل الثياب وغير ذلك، وكله تبرع وإحسان منها لزوجها وحسن معاشرة وفعل معروف معه، ولا يجب عليها شئ من ذلك، بل لو امتنعت من جميع هذا لم تأثم، وللزمه هو تحصيل هذه الأمور لها، ولا يحل له إلزامها بشئ من هذا، وإنما تفعله المرأة تبرعا، وهى عادة جميلة تظاهرت عليها دلائل السنة وعمل السلف وإجماع الأمة،واستمر عليها النساء من الزمن الأول إلى الآن، وإنما الواجب عليها شيئان، تمكينها زوجها من نفسها وملازمة بيته.(١)

(١) شرح النووى لصحيح مسلم ج٣ ص٢٠٩ ، ج١٤ ص١٦٤

٧١- المتعة الحلال

السؤال - إذا كان حق الزوج على زوجته فى الطاعة لرغبته بهذه الأهمية، فماذا يكون العمل فى أثناء الدورة الشهرية؟

الجواب - إن هناك أحوالاً لا تستطيع الزوجة أن تطيع زوجها فيهامن ناحية المتعة الجنسية، منها الصوم الواجب، والإحرام بالحج أو العمرة، ووجود المرض المعدى الذى ينتقل بالمباشرة، ومرض الزوجة مرضاً لا تتحمل معه هذه العملية، وإعسار الزوج بالنفقة الواجبة عليه لها.

ومن هذه الأحوال وجود دم الحيض أو النفاس، فإن مباشرتها محرمة فى كل الشرائع السماوية، وبإجماع المسلمين، ومن اعتقد حل ذلك كان كافراً، قال تعالى ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

روى مسلم أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن فى البيوت، فسأل الصحابة رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية، وقال «اصنعوا كل شئ إلا النكاح».

وقربان الحائض أعم من الجماع، وهو يصور بثلاث صور، لكل منها حكمها:

١- أن يباشرها بالجماع فى القبل، وهذا حرام بالإجماع، وفى الحديث الذى رواه أصحاب السنن «من أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها أو كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد». يقول النووى [١]: قال أصحابنا: ولو اعتقد مسلم

---

(١) صحيح مسلم ج٣ ص٢٠٤

حل جماع الحائض فى فرجها صار كافراً مرتداً، ولو فعله إنسان غير معتقد حله، فإن كان ناسياً أو جاهلاً لوجود الحيض، أو جاهلاً تحريمه، أو مكرهاً فلا إثم عليه ولا كفارة، وإن وطئها عالماً بالحيض والتحريم مختاراً فقد ارتكب معصية كبيرة، نص الشافعى على أنها كبيرة وتجب عليه التوبة، وفى وجوب الكفارة قولان للشافعى، أصحهما وهو الجديد وقول مالك وأبى حنيفة وأحمد فى إحدى الروايتين عنه وجماهير السلف أنه لا كفارة عليه، والقول الثانى وهو الضعيف أنه يجب عليه الكفارة، وروى عن بعض السلف، واختلف فى مقدارها، فقيل: دينار أو نصفه، وقيل: دينار فى أول الدم ونصف فى آخره، وعلى اختلافهم فى الحال المقتضية له، روى أبو داود والحاكم وصححه أن النبى ﷺ قال « إذا واقع الرجل أهله وهى حائض إن كان دماً أحمر فليتصدق بدينار، وإن كان أصفر فليتصدق بنصف دينار ».

٢- أن يباشرها فيما فوق السرة وتحت الركبة، بالذكر أو القبلة أو اللمس أو غيرها، وهو حلال باتفاق العلماء، ونقل بعضهم الإجماع عليه.

٣- أن يباشرها فيما بين السرة والركبة فى غير القبل والدبر، وفى ذلك ثلاثة أوجه لأصحاب الشافعى، أصحها عند جماهيرهم أنه حرام، وعليه مالك وأبو حنيفة، وقيل: يكره ذلك كراهة تنزيه، وعليه أحمد، وهو المختار والأقوى من جهة الدليل، للحديث المتقدم، وهو «اصنعوا كل شئ إلا النكاح». وقيل: إن كان المباشر يضبط نفسه عن الفرج جاز، وإلا فلا، ففى صحيح مسلم عن عائشة قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضاً أمرها رسول الله ﷺ أن تأتزر فى فور حيضتها- أى وقت كثرتها- ثم يباشرها، قالت وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله ﷺ يملك إربه. والإرب بكسر الهمزة هو العضو وهو الفرج، وبفتح الهمزة والراء الحاجة أى الجماع.

قال ابن القيم فى بدائع الفوائد: لو اشتد شبقه وخاف على نفسه من حبس الماء لا يجوز له جماع الحائض، بل يلجأ إلى إفراغه بأية وسيلة بعيداً عن الفرج.

ووقت التحريم هو مدة الحيض وبعد انقطاع الدم إلى أن تغتسل وهو مذهب الشافعي ومالك وأحمد وجمهور السلف والخلف، وقال أبو حنيفة: إذا انقطع الدم لأكثر الحيض – وهو عشرة أيام عنده – حل وطؤها فى الحال دون الحاجة إلى الاغتسال.

أما الاضطجاع مع الحائض فى لحاف واحد فلا حرمة فيه بشرط وجود الحائل الذى يمنع تلاصق البشرتين فيما بين السرة والركبة على رأى من يحرمه.

* * *

obeikandl.com

٧٢- إزالة شبهة فى المتعة الجنسية

السؤال - ما معنى قوله تعالى ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[البقرة:٢٢٣] فهل تجوز المتعة فى غير الفرج؟

الجواب - فى الصحيحين عن جابر قال: كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها فى قبلها كان الولد أحول، فأنزل الله هذه الآية، وفى لفظ مسلم «إن شاء مُجَبِّية وإن شاء غير مجبية» - والمجبية المنكبة على وجهها - غير أن ذلك فى صمام واحد والصمام الواحد هو القبل، وهو موضع الحرث والولد. وفى المسند عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ، هلكت، قال «وما الذى أهلكك»؟ قال: حولت رحلى البارحة. فلم يرد عليه شيئا، فأوحى الله إليه ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أقبل وأدبر واتق الحيض والدبر.

وذكر الشافعى بسند وثق رجاله أن رجلاً سأل النبى ﷺ عن إتيان النساء فى أدبارهن، فقال «حلال» فلما ولى دعاه فقال «كيف قلت، فى أى الحرثتين أو فى أى الحرزتين أو فى أى الخصفتين؟ أمن دبرها فى قبلها فنعم، أم من دبرها فى دبرها فلا،إن الله لا يستحيى من الحق، لا تأتوا النساء فى أدبارهن» وفى بعض الروايات التعبير بالحشوش والمحاش.

إن لفظ (أنَّى) فى الآية يطلق على معان ثلاثة، أين ومن أين وكيف، والمعنى الثالث هو المقصود منها، فالتعميم فى الحال لا فى المكان، كما بينته السنة الصحيحة، فالحرث هو الذى ينبت الزرع وهو الولد، وقال مجاهد: سألت ابن عباس عن هذه الآية، فقال تأتيها من حيث أمرت أن تعتزلها، يعنى فى الحيض.لأن هذه الآية متصلة بآية المحيض، ومن هذا يعلم خطأ القول بجواز إتيان المرأة فى دبرها، وخطأ من نسب ذلك إلى بعض الأئمة، فهو مجمع على حرمته، وتفصيل ذلك فى شرح الزبيدى للإحياء (ج٥ ص٣٧٥) ويمكن الرجوع إلى خلاصته فى الجزء الثالث من كتاب (الأسرة تحت رعاية الإسلام).

٧٣- زينة الشعر

السؤال - هل يجوز للمرأة أن تقصر شعرها، وما حكم لبس الشعر المستعار «الباروكة»؟

الجواب - من المعلوم أن الجمال محبب للنفس إذا وصف به أى كائن فى الوجود، وله حاسة جعلها المفكرون مستقلة عن الحواس الخمس، وجالت فى فنونه أقلام الكتاب وآراء الباحثين، ولا عجب فى ذلك، فالله جميل يحب الجمال كما فى الحديث الذى رواه مسلم.

وجمال المرأة بالذات له خطره وأهميته فى حياة الأفراد والأمم، فكم ربط بين جماعتين على أثر إعجاب تمَّ بزواج، وكم فرق بينهما أثر تنافس انتهى بقتال، وكم جدّت فى الأسر مشاكل غيرة منه وتحزُّبا ضده، وكم أطلق ألسنة العشاق بروائع المنظوم والمنثور، وكم خلدت آثار فى الفن والأدب كان هو ملهمها الأول. وواضع قصتها ومخرج مشاهدها على مسرح الوجود.

وتجمل الزوجة لزوجها من أهم الوسائل لكمال متعته بها وحبه لها، والحديث الذى رواه ابن ماجه يقول «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله».

ومظاهر التجمل كثيرة، منها جمال الشعر الذى لا ينكر أثره فى إعجاب الرجل بالمرأة، وفى تفنن الشعراء والأدباء فى التغنى والتغزل به، فما حرك أساطيل اليونان قديماً فى حرب (طروادة) إلا الشعر المقصوص المضفر بشرائط الذهب لهيلانة الجميلة، وما سحر البلاط الفرنسى ورجال الأدب والسياسة والدين إلا شعر بومبادور، وما نسى فحل الشعراء فى الجاهلية أن يضمن معلقته غزلاً فى

شعر كَهُدَّاب الدِّمَقْسِ المُفَتّل، وما كان لأمير الشعراء فى العصر الحديث ليلان إلا عند جارة الوادى، فرعها والدجى، والإسلام عنى بجمال الشعر: ترجيلاً أى تمشيطاً، وتصفيفاً أى تنظيماً فى ضفائر وغدائر ونحوها، وتهذيباً بالتقصير والتطويل والتلميع، وتطييباً بالدهن المعطر والروائح الطيبة، فهو القائل فى الحديث الصحيح الذى رواه أبو داود «إذا كان لأحدكم شعر فليكرمه» وهو عام فى الرجال والنساء.

أما قصّ الشعر للسيدة فليس هناك ما يمنعه شرعاً، فقد كان أزواج النبى ﷺ يأخذن من شعر رءوسهن حتى تكون كالوفرة، كما رواه مسلم. والوفرة ما قصر عن اللِّمَّة أو طال عنها، واللِّمة ما يُلِمُّ من الشعر بالمنكبين، كما قاله الأصمعى. [هناك خلاف فى تحديد معنى الوفرة واللمة والجمة موجود فى (نيل الأوطار) ج١ ص١٣٧ وثلاثيات أحمد ج٢ ص٢٠٧] وقد قصر أزواج النبى ﷺ من شعورهن بعد وفاته، لتركهن التزين واستغنائهن عن تطويل الشعر وتخفيفا لمئونة رءوسهن. كما قاله القاضى عياض وغيره، ولم يكن ذلك فى حياته.

هذا، وقد روى النسائى عن على رضى الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها. والحلق هو إزالته بالمرة، وذلك لا يليق بالمرأة فهو من خصائص زينتها، أو المراد النهى عن حلقه عند المصائب كالحزن على وفاة زوج أو ولد.

لكن محل جواز تقصير شعرها إذا كان بإذن الزوج، فهو صاحب حق فيه لمتعته، وألا يكون التقصير بيد رجل أجنبى واطلاعه عليه، وألا تقصد به التشبه بالرجال، فالأعمال بالنيات.

والشعر المستعار (الباروكة) ورد فيه أن امرأة قالت للنبى ﷺ: إن لى ابنة عُرَيِّساً -تصغير عروس- أصابتها حصبة فتمزق شعرها، أفأصله؟ فقال «لعن الله الواصلة والمستوصلة» رواه البخارى ومسلم.

وبعد كلام العلماء فى شرح هذا الحديث وما يماثله نرى أن التحريم مبنى

على الغش والتـدليس، وهو مـا يفـهم عن السـبب الذى لعنت به الواصلة والمستوصلة، ومبنى أيضاً على الفتنة والإغراء لجذب انتباه الرجال الأجانب. وهو ما أشارت إليه بعض الأحاديث بأنه كان سبباً فى هلاك بنى إسرائيل حين اتخذه نساؤهم. وكن يغشين بزينتهن المجتمعات العامة والمعابد كما رواه الطبرانى.

هذا، وجاء فى كتب الفقهاء: أن لبس الشعر المستعار حرام مطلقاً عند مالك، وحرام عند الشافعية إن كان من شعر الآدمى، أو شعر حيوان نجس، أما الطاهر كشعر الغنم وكالخيوط الصناعية فهو جائز إذا كان بإذن الزوج، وأجاز بعضهم لبس الشعر الطبيعى أو الصناعى بشرطين: عدم التدليس وعدم الإغراء، وذلك إذا كان بعلم الزوج وإذنه، وعدم استعماله لغيره هو.

ومن هذا يعلم أن تصفيف شعر المرأة عند (الكوافير) الرجل الأجنبى حرام، وأن لبسها (الباروكة) عند الخروج، أو عند مقابلة الزائرين الأجانب حرام.

* * *

٧٤- زينة الوجه

السؤال - إذا كان الشرع قد أباح للمرأة كشف وجهها فما حكم تزيينه بالكحل وترقيق الحواجب ووضع الألوان (الروج) ؟

الجواب - لقد قرر العلماء أن الوجه إذا كان جميلاً فاتناً بطبيعته فكشفه أمام الأجانب حرام، فالقصد من كل هذه التشريعات منع الفتنة، أما إذا كان عادياً فمن العلماء من أوجب ستره عن الأجانب ومنهم من أجاز كشفه وعلى الرجل أن يغض من بصره.

ومن أجازوا كشفه بطبيعته حرموا وضع أى شئ عليه يجعله فاتناً، وقد جاء النص على تحريم بعض هذه الأشياء فى حديث مسلم عن عبد الله بن مسعود: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله» والوشم هو غرز الجلد بالإبرة وملؤه بنيلة ونحوها، وقد كان نساء العرب يتحلين به فى تلوين شفاههن، فسمرتها المسماة باللَّمَى مظهر من مظاهر الجمال، واستبدل به حديثاً أحمر الشفاه (الروج)، والنمص هو إزالة الشعيرات التى تنبت على الوجه، ومنه ترقيق الحواجب المسمى بالتزجيج، وظهر حديثاً طلاء الوجه ، بالأصباغ والمعجونات، ورسم الحواجب وتلوين الجفون، والأهداب الصناعية. والتفليج هو توسيع المسافة بين الأسنان، ويطلق عليه (الوشر).

يقول ابن الجوزى: ظاهر هذه الأحاديث -أى المحرِّمة لذلك- تحريم هذه الأشياء، التى قد نهى الله عنها، على كل حال. وقد أخذ بإطلاق ذلك ابن مسعود، ويحتمل أن يحمل ذلك على أحد ثلاثة أشياء، إما أن يكون ذلك شعار الفاجرات، فيكُنَّ المقصودات به، أو أن يكون مفعولاً للتدليس على الرجل، فهذا لا يجوز، أو يكون قد تضمن تغيير خلق الله، كالوشم الذى يؤذى اليد ويؤلمها

ولا يكاد يستحسن، وربما أثر قشر الجلد تحسُّناً فى العاجل ثم يتأذى به الجلد فيما بعد، وأما الأدوية التى تزيل الكَلَفَ وتحسّن الوجه للزوج فلا أرى بها بأساً، وكذلك أخذ الشعر من الوجه للتحسن للزوج،ويكون حديث النامصة محمولا على أحد الوجهين الأولين. ا.هـ ملخصاً.(١)

والذى أراه أن غير الوشم إن كان برضا الزوج فلا بأس به لعدم التغرير، وإن كان للإغراء والفتنة للأجنبى فهو محرم. أخرج الطبرانى أن امرأة أبى إسحاق دخلت على عائشة، وكانت شابة يعجبها الجمال، فقالت المرأة لعائشة: المرأة تحف جبينها لزوجها، فقالت: أميطى عنك الأذى ما استطعت. ذكره ابن حجر فى فتح البارى فى باب المتنمصات من كتاب اللباس.

وعمليات التجميل كشد جلد الوجه وتصغير الأنف ونحو ذلك، إن كان أثرها يدوم ولا يعود العضو إلى أصله مرة أخرى فهو من باب تحسين خلق الله لا يقصد به التدليس، فإن كان لا يدوم بل يكون تجميلاً مؤقتاً، فالظاهر أنه يقصد به التدليس، فإن لم يقصد به ذلك بأن كان للزوج وبإذنه فلا مانع، وإن قصد به الفتنة السوء لغير الزوج فهو حرام.

وإذا جاز للمرأة أن تتزين بهذه الأشياء لزوجها لا لغيره من الأجانب فأنصح بعدم الإسراف فيها، وبعدم إلهائها عن واجب.

وقد مر فى موضوع الإنفاق أن تكاليف التجميل ليست واجبة على الزوج مما فيه تحلية، أما ما فيه تخلية كالصابون فيجب عليه. والتحلية كالكحل والطيب والأصباغ. لكن لو أحضر هذه الأشياء وجب عليها أن تستعملها ما دام يريد ذلك.

* * *

(١) غذاء الألباب للسفارينى الحنبلى ج١ ص٣٧٣ وكتاب: آداب النساء لأبن الجوزى

٧٥- أنواع أخرى من الزينة

السؤال - ما حكم الدين فى صبغ شعر المرأة، وتلوين أظافرها، ووضع الروائح، ولبس الفراء، وهل صحيح أن المشط المأخوذ من سن الفيل نجس؟

الجواب :-

١- من تحلية الشعر وتجميله تلوينه لإخفاء شيبه، أو تغيير لونه الأسود إلى لون آخر. وهو جائز ما دام للزوج لا لغيره، وبخاصة بعد أن عرف لونه الحقيقى عندما تزوجها.

غاية الأمر أن العلماء تكلموا قديماً عن صبغ الشعر باللون الأسود فمنعه الأكثرون، لكن أدلتهم كانت منصبة على الرجال، أو على قصد التدليس كالعجوز التى تريد أن تظهر بمظهر الشابة لتتزوج، أما المتزوجة فلا بأس من صبغ شعرها بالأسود وبأى لون تريد.

٢- وتلوين الأظافر غير ممنوع، وقد مر حكم ذلك بالنسبة للطهارة للصلاة، لكن إطالتها لِتَبْدُوَ جميلة حسب (المودة) أو إلصاق أظافر صناعية، مكروه، لأن من سنن الفطرة التى ورد بها الحديث الصحيح (قص الأظافر) بل أوجب ذلك أبو بكر بن العربى، وجاء فى صحيح مسلم: وقّت لنا رسول الله ﷺ قص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط وحلق العانة ألا تترك أكثر من أربعين ليلة. وإطالتها مظنة تجمع الأوساخ تحتها، ونظافتها تحتاج إلى جهد أولى أن يبذل فى غير ذلك، كما أن هذه الإطالة مع تلوينها بالألوان الحديثة مدعاة إلى الكسل عن مزاولة أعمال البيت، وعن الصلاة، وقد يكون فيها إيذاء للغير عند المصافحة مثلاً، روى أحمد أن رجلاً جاء يسأل النبى ﷺ عن خبر السماء،فرأى أظافره طوالاً فقال: «يسأل أحدكم عن خبر السماء وأظافره كأظافر الطير، يجمع فيها الجنابة والتفث» وهو الخبث. وقد مر حكم قصها أثناء الجنابة.

٣- وضع الطيب أمر يميل إليه الطبع، ولا ينهى عنه الشرع لذاته، فإن أسئ استعماله كان ممنوعاً، وكان نساء العرب يَحْرِصْنَ عليه، وبخاصة إذا كن ضرائر، وفى الأيام الأولى للزواج، منعاً لما عساه يكون من رائحة كريهة، وجذباً لقلب الرجل، وحسبنا أن نعلم أن علياً كرم الله وجهه عندما جاء بمهر فاطمة عليها السلام، أخذ أبوها منه قبضة وقال لبلال «ابتع لنا بها طيباً» رواه أحمد عن أنس. ومن هدى النبى ﷺ فى ذلك كما رواه النسائى والترمذى بإسناد حسن «إن طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه» أى قلّ حتى لا يشعر به إلا من قرب منها، وذلك هو زوجها ومحارمها، وقوله، كما رواه النسائى وابن حبان وابن خزيمة فى صحيحيهما «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية، وكل عين زانية».

٤- ولبس الفراء تابع فى حكمه للحيوان الذى أخذ منه الفراء، فإن كان من حيوان مأكول وذكىّ ذكاة شرعية فهو طاهر لا يحرم لبسه، وتجوز الصلاة فيه، والثعلب من الحيوانات التى تصاد لفروها، فلو مات بغير ذكاة شرعية فإن الدباغ يطهر جلده كجلد أية ميتة، وإن ذبح ذبحاً شرعياً فهو طاهر لأن لحم الثعلب حلال عند الشافعى، وحرام عند أحمد ومكروه عند أبى حنيفة ومالك، وعلى كل الأقوال لو دبغ الجلد صار طاهراً، والشعر تبع للجلد فيطهر تبعاً لأحد قولى الشافعى. كما ذكره النووى فى شرح صحيح مسلم ج٤ ص٥٥ .

وبهذا يكون الفرو المتخذ من الثعلب والسنجاب والفنك والسمور طاهراً يجوز لبسه والصلاة فيه. وقد وردت نصوص بالنهى عن جلود النمور والسباع، والمراد هو الركوب عليها كما فى بعض الروايات، أو النهى من أجل الفخر[١].

٥- أما المشط وبعض الحلى المتخذة من سن الفيل وهو العاج. فالأصل فيها الطهارة، قال الزهرى فى عظام الموتى نحو الفيل وغيره: أدركت ناساً من سلف العلماء يمتشطون بها ويدّهنون فيها، لا يرون به بأساً. رواه البخارى. وثبت عن

---

(١) نيل الأوطار ج١ ص٧٠-٧٢

سلمان الفارسى رضى الله عنه أنه سئل عن شئ من الجبن والسمن والفراء، فقال: الحلال ما أحله الله فى كتابه، والحرام ما حرم الله فى كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه. وكان السؤال عن جبن المجوس، حينما كان سلمان نائباً عن عمر رضى الله عنه على المدائن[1] وعليه فمشط العاج طاهر وكذلك الحلى المتخذة منه.

هذا، وقد جاء فى (حياة الحيوان الكبرى) للدميرى: أن النبى ﷺ كان له مشط من العاج مأخوذ من ظهر السلحفاة البحرية، أما الذى هو عظم الفيل فنجس عند الشافعى وطاهر عند أبى حنيفة. وعند مالك يطهر بصقله[2]

* * *

(١) تفسير القرطبى ج٢ ص٢٢١ ،فقه السنة ج١ ص٢٤

(٢) ج١ ص٥٠٤ – السلحفاة البحرية.

obeikandl.com

٧٦- المحافظة على شرفه

السؤال - لو كان زوجى غائباً من المنزل، وحضر أخوه ليزورنى ويطمئن علىَّ، أو حضر ابن عمى لذلك - هل يجوز أن أجلس معه فى المنزل، أم الواجب عدم السماح له بالدخول؟

الجواب - ثبت عن النبى ﷺ فى حديث صحيح رواه الترمذى وابن ماجه أنه قال «فحقكم عليهن ألا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنّ فى بيوتكم لمن تكرهون». وثبت عنه أنه قال كما رواه البخارى ومسلم «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه» كما ثبت كما رواه مسلم أنه قال «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال «الحمو الموت» وقال أيضاً كما رواه الشيخان «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم» وروى الطبرانى أنه قال «إياك والخلوة بالنساء، فو الذى نفسى بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما».

هذه النصوص وأمثالها كثير يقصد منها المحافظة على شرف الزوج والزوجة، حتى لو لم يكن هناك ارتكاب للفاحشة، فإن الظنون والتهم لها وقع كبير على النفوس، وأثر قوى فى الحياة الزوجية، فيحرم على الزوجة أن تسمح لأى إنسان أجنبى أن يدخل الغرفة الخاصة بنوم زوجها، وهى المعبر عنها بالفرش، بل يحرم أن تسمح له بمجرد الدخول إلى البيت فهو وسيلة إلى الشر، ويتحتم هذا الأدب إذا كان الزوج غائباً عن البلد مدة تفكر الزوجة فى عودته، وتسول للغريب أن يعبث بالحرمات، وبخاصة من لهم قرابة بالزوج أو الزوجة من غير المحارم، كأخيه وعمه وابن عمه وزوج أخته، وكابن عمها وابن خالها أو خالتها وزوج أختها، فكل هؤلاء أجانب يحل لهم التزوج منها، وقد تتخذ هذه القرابة وسيلة للتردد على

منزل الزوج الغائب، فتكون الكارثة، ولذلك شبهه الرسول بالموت، يعنى أن مصيبة وجوده معها كمصيبة الموت فى آثارها وأخطارها، فلا يجوز لها أن تسمح لأحد من هؤلاء إلا إذا وجد محرم يخشى مع وجوده السوء، كالأب والأخ والابن المميز، ومن هنا ننبه إلى عدم زيارة أى إنسان لبيت رجل غائب إلا إذا أمن الفتنة وقالة السوء، كأن تكون معه زوجته أو أحد أقاربها، وكل ذلك مع احترام الآداب الشرعية الأخرى.

* * *

obeikandl.com

٧٧- من آداب الحياة الزوجية

السؤال - نقرأ فى الكتب والصحف عن تجارب المفكرين فى وسائل محافظة الزوجة على قلب زوجها أشياء كثيرة قد تكون صدى لإحساس خاص، أو نَضْحاً لبيئة معينة بعرفها المناسب لها، فهل فى الإسلام شئ من هذه الوسائل التى تستعين بها الزوجة على سعادة زوجها والأسرة؟

الجواب - الإسلام وهو الدين الذى أكمله الله وأتم به النعمة فيه تبيان كل شئ يحقق السعادة للفرد والمجتمع فى الدنيا والآخرة، وكل تشريعاته العامة والخاصة لها صلة كبيرة بإسعاد الحياة الزوجية، ومع ما عرفناه من مأثور العرب فى وصايا بناتهم عند الزواج نورد بعضاً من هذه الآداب:

١- أن تكون الزوجة صورة حسنة فى عين زوجها تجذب قلبه إليها، وذلك بالعناية بجمالها، وقد مر الحديث عنه وموقف الإسلام منه.

٢- تنسيق البيت بشكل يدخل السرور على قلب الرجل، وتجديد هذا التنسيق حتى يتجدد شعوره بالسرور، ولا تسير الحياة على وتيرة واحدة.

٣- توفير الجو الهادئ ليستريح من عناء عمله، وبخاصة فى أيام الراحة، التى لا ينبغى أن تشغلها بما يصرفها عنه، ولا تترك الأولاد يعكرون صفو هذا الجو.

٤- مشاركته فى فرحه وفى حزنه، ومحاولة التسرية عنه بكلام طيب أو عمل سار، كما كانت السيدة خديجة رضى الله عنها مع النبى ﷺ يوم أن جاء من الغار يرجف فؤاده، فطمأنته بأن الله لا يخزيه أبداً.

٥- معرفة مواعيد أكله ونومه وعمل الحساب لكل منها، وذلك بإعداد طعامه الذى يشتهيه، والهدوء التام عند نومه الذى يحب أن يهدأ الجو من حوله ليشعر بالراحة.

٦- عدم إظهار الاشمئزاز منه لعيب وجد فيه كمرض وفقر وكبر سن، ومحاولة تخفيف هذه الآلام عنه بالقول أو الفعل، فهذا ضرب من الوفاء له.

٧- الأدب معه فى الحديث، واختيار الألفاظ المحببة إلى قلبه، وعدم مراجعته بصورة تثير غضبه، أو تجرح شعوره، فقد يكون من وراء ذلك هدم الأسرة.

٨- عدم المن والتطاول عليه بغناها أو حسبها أو منصبها مثلاً، وعدم ذكره بالسوء والشكاية منه إلا فى أضيق الحدود، لدفع شر يتوقع مثلاً، جاء فى إحياء علوم الدين للغزالى أن الأصمعى قال: دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجهاً، وزوجها من أقبح الناس وجهاً، فقلت لها: يا هذه أترضين لنفسك أن تكونى زوجة له؟ فقالت اسكت يا هذا، فقد أسأت فى قولك، لعله أحسن فيما بينه وبين الله فجعلنى ثوابه، أو لعلنى أسأت فيما بينى وبين ربى فجعله عقوبتى، أفلا أرضى بما رضى الله لى؟

تلك وأمثالها آداب يقرها الإسلام ويدعو إليها، وأولى أن نتبعها بدل أن نتبع التقاليد الأخرى التى لا تناسبنا، فلكلٍّ شرعةٌ ومنهاج.

* * *

٧٨- الاعتدال فى الغيرة عليه

السؤال – هل من حق الزوجة أن تحاسب زوجها على تأخره عن الحضور إلى المنزل، أو غيابه بدون علمها؟

الجواب – الغيرة مركوزة فى فطرة كل إنسان، وبخاصة عند الزوج والزوجة، والمنهى عنه هو الإفراط فيها، وترتيب حقائق على ظنون وأوهام، كما فى غيرة الزوج على زوجته، أخرج عبد الرزاق فى مصنفه عن جابر بن عبد الله أنه جاء إلى عمر يشكو إليه ما يلقاه من النساء، فقال عمر: إنا لنجد ذلك، حتى إنى لأريد الحاجة فتقول لى: ما تذهب إلا إلى فتيات بنى فلان، تنظر إليهن، فقال له عبد الله بن مسعود: أما بلغك أن إبراهيم عليه السلام شكا إلى الله خلق سارة، فقيل له: إنها خلقت من ضلع، فالبسها على ما كان منها، ما لم تر عليها خربة فى دينها[١].

وإذا كان للزوجة أن تغار على زوجها فليكن ذلك فى اعتدال، وإذا ناقشته فيما يدخل الشك على قلبها فليكن بأسلوب حكيم، فأن الحدة فى المناقشة قد تؤدى إلى العناد، أو قد تؤدى إلى هدم الحياة الزوجية، يقول عبد الله بن جعفر لابنته: إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب فإنه يورث البغضاء[٢]. وقد جاء فى ذلك حديث رواه الطبرانى بسند ضعيف «إن الله كتب الغيرة على النساء والجهاد على الرجال، فمن صبر منهن إيماناً واحتساباً كان لها مثل أجر الشهيد» وروى أبو ليلة بسند لا بأس به «إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادى من أعلاه»[٣].

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص٩٦ ومثله فى المطالب العالية ج٢ ص٢٥

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ج٤ ص٧٧ مثله عن أبى الأسود الدؤلى.

(٣) المواهب اللدنية ج١ ص٢٩٦

والإسلام بوجه عام نهى عن التمسك بما لا يعلم حقيقة، وعن المؤاخذة بالظن، فقال تعالى ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسرا:٣٦] وقال ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾[الحجرات:١٢] وقال ﷺ «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث.....»(١).

* * *

(١) رواه مسلم.

obeikandl.com

٧٩- تحمل الأذى

السؤال - لقد أساء إلىّ زوجى بكلمات جارحة فاضطررت للرد عليه بمثلها، ثم راجعت نفسى بعد ذلك فاعتذرت إليه، فما موقف الدين من هذه الصورة؟

الجواب - إن الإسلام أمر المسلمين عامة بالتحمل والصبر والعفو، وإن كان قد أجاز للمظلوم أن ينتصف من الظالم بمثل ما ظلم به، قال تعالى ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾[الشورى: ٤٠] وقال ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾[فصلت: ٣٤]

وإذا كانت مقابلة السيئة بمثلها جائزة بين عامة الناس فهى بين الزوجين لها وضع خاص، وقد حدث أن سعد بن الربيع نشزت عليه زوجته حبيبة بنت زيد ابن خارجة، فلطمها، فاشتكاه أبوها للنبى ﷺ فقال «لتقتص من زوجها» فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال عليه الصلاة والسلام «ارجعوا، هذا جبريل أتانى» فأنزل الله تعالى ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ.....** ﴾ فقال عليه الصلاة والسلام «أردت شيئاً وما أراد الله خير» ونقض الحكم الأول.(١)

فلا يجوز للزوجة أن تسئ إلى زوجها بمثل ما ورد فى السؤال من مقابلة الشتم بالشتم، كما لا يجوز للولد ذلك مع والديه، والمرءوس مع رئيسه، إبقاء للكرامة الواجبة لمن هو أكبر مقاماً. وصبر الزوجة على إساءة زوجها له ثوابه العظيم، قيل إنه كثواب امرأة فرعون التى قالت ﴿ **رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾[التحريم: ١١]

---

(١) تفسير القرطبى ج٥ ص١٦٨

وإذا تأزمت الأمور كان هناك الصلح الذى يقوم به الخيرون ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[النساء: ١٢٨]

والتى أساءت إلى زوجها وطلبت منه العفو قد أحسنت صنعاً، فقد منعت عنها سخط الملائكة عليها كما صح فى الحديث، وروى الحاكم وصححه أن النبى ﷺ قال «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تأذن فى بيت زوجها وهو كاره، ولا تخرج وهو كاره، ولا تطيع فيه أحداً، ولا تعزل فراشه ولا تضربه، فإن كان هو أظلم فلتأته حتى ترضيه، فإن قبل فبها ونعمت وقَبِلَ الله عذرها وأفلج حجتها ولا إثم عليها، وإن هو لم يرض فقد أبلغت عند الله عذرها»[١].

* * *

(١) الترغيب والترهيب ج٣ ص١٢

obeikandl.com